

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الثامنة

التحليل السيميائي للسرد

تمهيد:

تتوسع آليات تحليل النصوص السردية ولكن هذه المرة سننتقل إلى مرحلة ما بعد البنوية، ونذكر منها التفكيكية، التأويل، السيميائية، تحديدا الأنموذج البارتي أو ما يطلق عليه بنظرية الشفرات التي أصل لها الناقد الفرنسي رولان بارت، ففيما تمثلت هذه الآليات البارتية؟

آليات التحليل السيميائي للسرد:

من أبرز آليات التحليل السيميائي للسرد لدينا نظرية الشفرات التي أنتجها بارت واشتغل عليها في مقارنته لقصة بلزاك سرازين ، ومن أهم آلياته نذكر:

ب)- الدّعمة الإجرائية القراءة / التأويل :

حسب بارت فإن القراءة من أهم الآليات الإجرائية للتحليل السيميائي للسرد فهي تمكن المقارب من إعادة كتابة النص السردية، وبناء عليه تتحدد أهمية الموضوع انطلاقا من الأداة في حد ذاتها، وبشيء من التأمل يتضح أمامنا بأن النصوص السردية عينها تكون حبلية بالمعاني، فتكون بذلك بحاجة ماسة إلى القراءة لتوليد المعاني منها وعلى هذا النحو تبرر فكرة اللجوء إلى هذه الآلية؛ لأن النص لا يكون مكتملا إلا بوجود القراءة حيث " تقع مسألة المعنى والدلالة في قلب الإشكال المطروح"¹ ، مع التذكير بأن النص يتحول إلى مساحة للبوخ حيث تساعده آلية القراءة على الاشتغال وذلك بتوليد معانيه، والإفصاح عما سكت عنه، لا سيما وأنه يحوي إمكانات دلالية هائلة .

والقراءة في مفهومها هي " إدراك شبكة المعاني التي اتخذت مكانها في العمل الأدبي بناء على بعض المقترضات المنطقية "2، غير أن الحديث عن القراءة وإدراك المعاني إنما هو أمر خاضع للتغير بالإضافة إلى كونه بمستويات، وهو الأمر الذي استدركه بارت وعمل على تصحيحه على مدار مسيرته النقدية، وبالتالي، يقع الضبط للقضية فيما بعد وبشكل أفضل، فتكون النتيجة أن أقرأ يعني " العثور على المعاني، والعثور على المعاني هو تحديدها، ولكن هذه المعاني المحددة محمولة على أخرى"3، فالمطلوب لا ينحصر على المعاني الظاهرة/ الحرفية ؛ صحيح أن ذلك منتج للمعنى ولكنه يفضي بنا إلى الوقوع في إسهار النص القرائي في نهاية المطاف، غير أن المرام هو المعاني التي تُحمل على أخرى/ المعاني الإيحائية، أي التأسيس على السلسلة التدلالية وتلك هي السبيل لإنتاجية النص الكتابي، ولولا قابلية المعاني على أن تحمل على أخرى لأصبحنا أمام النص القرائي فقط، والذي لا يتجاوز حرفية المعنى الذي وضع لدوال النص من قبل مستخدميه وواضعي اللغة في بادئ الأمر. والقراءة لا يمكن أن تكون بدون قارئ هذا الأخير الذي حكم عليه في أكثر من موقع بأنه " وحده هو المؤهل لإعطاء معنى ما لبنية مفتوحة "4. لقد أصبحت الآن المسؤولية أثقل عندما يتولى القارئ le lecteur بفعل القراءة فتح مدن النص والكشف عن دلالاته، بمشاركة فاعلة سواء قدم إنتاجا هو النص الكتابي حسب المصطلح البارتي أو خطابا صامتا على حد وصف رامان سلدن ' المهم هو " أن يؤدي دورا فعالا في عملية الخلق النصي أي أن يكتب "5.

أما الدعامة الإجرائية الثانية المستعان بها في التحليل السيميائي للسرد فهي تخص التأويل **interprétation**، وبشيء من التعمق في الأمر ندرك بوضوح أن الباعث على هذا الصنيع إنما هو طبيعة تلك النصوص في حد ذاتها، وذلك أنها تضع في وجه القارئ مجموع مواقف تحمله على الحيرة / الاستفهام / الاستغراب / .. فلا تتشكل لديه القناعة فيما توصل إليه من نتائج أو إنتاج وعلى هذا النحو، لا مناص من حل هذا الإشكال إلا باللجوء إلى

عملية التأويل من خلال تسليط الضوء على بعض العناصر المستخدمة في بناء تلك النصوص، وبالتالي، محاولة حل ما بها من غموض / إغاز / غرابة ... إلخ، والباعث على استخدام هذه الآلية الثانية إنما هو قابلية تلك النصوص إلى هذا الصنيع، ذلك أن بنيتها قد قامت أساساً على التأويل، وبالتالي، وقع التأكيد على أنه يوجد " نمط نصي محتمل لتأويل شتى مختلفة باختلاف المواقف التداولية"⁶، وطالما أن الأمر يكون على هذا النحو يمكننا القول بأننا في حاجة ماسة إلى هذه العملية الثانية تأسيساً على ما يقترحه بارت .

ج- شفرات النص : les codes

تستثمر بعض النصوص في صناعتها فكرة البناء على نظام التشفير codification؛ لأن هذا الأخير .. وسيلة بناء تمكن .. من إيصال بعض أنواع المعنى"⁷، وبناء عليه، وجب الاعتداد بهذا النظام والاحتفاء به خصوصاً على مستوى بعض النصوص؛ لأن الحرمان من تفعيلها هو المؤشر على فقر النصوص واستعمالها سبيل النقلة من أحادية المعنى إلى التعدد / من القرائي إلى الكتابي / من المنتج إلى الإنتاج، هذه الأخيرة التي يستحيل الاستغناء عنها سواء في العملية الإبداعية أو بقية الاستعمالات الأخرى، خاصة بعد أن تكشف أمام الجميع بأن " كل الأقوال الإنسانية تمكنها وتحددها أنظمة وشفرات يشترك بها كل من ينتج و يفهم هذه الأقوال"⁸ . على هذا الأساس توجب على المؤمن بالصناعة الأدبية " أن يحدد تحليله بمجموعة من الشفرات التي تعمل في كل لحظة معينة من الزمن"⁹؛ لأن إدراك المعاني لا يتم إلا من خلال هذا الوسيط الدلالي المستخدم في عملية بناء النصوص ، ويتأمل الشفرات التي تبنى عليها النصوص نجدها على أنواع عديدة، غير أن بارت حوصلها في خمسة أنواع فقط ، وهي :

1- الشفرة التأويلية : code herméneutique تخص الحوادث المختلفة التي يمكنها

تحضير السؤال أو تعطيل الجواب، أو تشكيل لغز énigme ، تتطلب جلب حلول لشفراته.

2- الشفرة الدلالية : **code sémique** تخص السيمات **séme** ، وهي عبارة عن وحدات دالة، تنتج دلالات إيحائية سواء من الكلمات أو العبارات داخل النص .

3- الشفرة الرمزية : **code symbolique** هو استعمال وحدات النص تحت راية التمثيل الثنائي بين القضية ونقيضها بشكل متتالي .

4- الشفرة الحدِيثِيَّة : **code proairetique** يقصد بها مختلف الأحداث والتصرفات ولكن في الحكي، والذي يداول الحدِيثِيَّة ليس الشخصية وإنما هو الخطاب.

5. الشفرة الثقافية : **code culturel** كل ملفوظ نطق بصوت جماعي، مجهول في الأعم الأغلب حسب استعمال بارت، محدد ضمن مجموع الأقاويل الشاملة الممثلة بالأمثال، الحكم، المعرفة، .. إلخ ، حيث النص لا يتوقف عن الرجوع إليها.

(د)-الدلالة الحرفية و الإيحائية :

من الآليات الدلالة الحرفية **dénotation** * والدلالة الإيحائية **connotation** ، أما الأولى فهي المعاني التي نجدها في المعاجم اللغوية، أما الثانية فهي المعاني الثواني التي يمكن إلحاقها بالدلالة الحرفية، وبهذا يصبح لدينا قالبين من الدلالات هما السيميائيات الحرفية والسيميائيات الإيحائية، من هنا تتبع أعمال بارت، أولاً بتجسيد مبدأي السيميائيات الحرفية والإيحائية. وإن جئنا إلى تحديد آلية اشتغال الحرفي والإيحائي، يمكننا التفصيل فيها على النحو الموالي، فبالنسبة للسيميائيات الحرفية فهي تقوم على طرفين أساسيين هما التعبير والمضمون، بحيث يشتغل عنصر " التعبير " للإحالة على " المضمون "، في حين السيميائيات الإيحائية تستثمر الشكل الحرفي وتحوله من تعبير / مضمون إلى تعبير ثان يحيل إلى مضمون جديد وهنا نصبح بصدد استدراج أطراف الحديث عن تسلسل تدلالي أو ما يخلو لإيكو تسميته بالأثر الدلالي. إذا، هناك أنظمة دلالية ينبغي الانتباه إلى آلية اشتغالها، حيث يكون الإيحائي عبارة عن معنى ثانٍ وهو ناتج دال أول يسمى الحرفي، وفي

محاولة للتحديد أكثر في ماهية الإيحائي، يقع الاعتراف عند بارت وبشيء من التدقيق الكاشف للعيان بأن " الإيحاءات هي معاني ليست موجودة في المعاجم، ولا في نحو اللغة التي كتب بها النص"¹⁰، إنها المعاني المتناسلة انطلاقاً من الدلالة الحرفية.